

• القدس في العقيدة والتاريخ [١]

في التاريخ العربي لمدينة القدس هناك حقائق تاريخية صلبة وعديدة، تحتاج على أن نعيها نحن. وإلى أن يعيها الآخرون.

فعروبة القدس تضرب في أعماق التاريخ ستين قرناً فلقد بناها العرب اليبوسيون في الألف الرابع قبل الميلاد أي أن عمر عروبته قبل الميلاد هو أربعة آلاف عام ٤٠ قرناً فإذا أضيف إليها عمر عروبته بعد الميلاد. وهو ألفا عام - كان عمر عروبته - اليوم - قد تجاوز ستين قرناً!

- وإذا كان المتدينون بالديانات السماوية الثلاث يؤمنون بأن الله قد بارك في القدس وفيما حولها.. فإن هذه المباركة الإلهية سابقة على رحيل سيدنا إبراهيم إلى هذه الأرض، «ونجينا ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها العالمين» [الأنبياء: ٧١] فهي أرض مباركة قبل لجوء أبى الأنبياء إليها.. وهذه المباركة الإلهية لهذه الأرض، قد جعلها الله للعالمين.. وليس لفريق دون فريق!

- وإذا كان كلهم الله موسى - عليه السلام - هو الذي بدأت به اليهودية ونزلت عليه التوراة بشريعتها.. فإن موسى - كما يؤمن الجميع.. ويشهد التاريخ - قد كان في القرن الثالث عشر للميلاد.. أي بعد بناء اليبوسيين العرب لمدينة القدس بسبعة وعشرين قرناً.. كما أنه - عليه السلام.. قد ولد.. ونشأ.. وتعلم وتربى.. وبعث ونزلت عليه التوراة ثم مات ودفن بمصر.. حتى أن توراة موسى قد نزلت باللغة الهيروغليفية - لغته ولغة فرعون - الذي أرسل إليه موسى - ولغة القوم الذين بعث فيهم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

٤ - ولم تكن اللغة العبرية - يومئذ.. في القرن الثالث عشر قبل الميلاد

قد ظهرت بعد.. لأنها في الأصل «لهجة كنعانية» أصبحت «لغة» بعد غزو
العبرانيين لأرض كنعان.. بقيادة يوشع بن نون- أي بعد عصر ظهور
اليهودية ونزول التوراة الهيروغليفية و وفاة موسى- عليه السلام- بأكثر من
مائة عام.

- وإذا كان العبرانيون القدماء- الذين خرجوا من مصر- قد غزوا
أرض كنعان- فلسطين- بقيادة يوشع بن نون- واستعمروا أجزاء من هذه
الأرض العربية، فإن وجودهم بمدينة القدس، وسلطاتهم علي هذه المدينة
العربية لا يتعدى ٤١٥ عاما- في القرن العاشر قبل الميلاد- على عهد داود
وسليمان- أي أن هذا الوجود العبراني الطارئ والمؤقت في القدس إنما حدث
بعد ثلاثة آلاف عام، ثلاثين قرنا- من عروبة القدس كما أن هذه اللحظة
الطارئة التي كان فيها للعبرانيين دولة في القدس، هي نصف عمر الوجود
والدولة العربية في الأندلس- الذي دام ثمانية قرون كما أنها لا تقاس بألوان
الوجود الذي طرأ- بالغزو- على كثير من البلاد.. فالرومان أقاموا بمصر
دولة دام عمرها عشرة قرون.. وكذلك صنعوا بكثير من بقاع الشرق، دون
أن يؤسس لهم ذلك أي حق في أي من تلك البلاد!

- ولقد كان طبيعيا- عبر هذا التاريخ الطويل والعريق للقدس العربية-
أن تتوالى على أهلها عقائد وديانات.. وأن تقوم على أرضها معابد- للوثنية
حيناً.. وللتوحيد حيناً آخر- ولقد حدث ذلك في أغلب بلاد الدنيا.. فمصر-
مثلا- عاشت التوحيد الذي بشر به نبي الله إدريس- عليه السلام- منذ عصر
آدم عليه السلام- ثم شهدت فترات من الانحرافات عن التوحيد إلى الوثنية..
ثم جاءها «تميز» [٥٢٩- ٥٢٢ ق م] الفارسي غازيا، وأقام فيها معابد
لديانة الفرس.. ثم جاءها الإسكندر الأكبر (٣٥٦- ٢٢٣ ق م) فقامت فيها

معابد للوثنية الإغريقية والرومانية.. ومن مصر خرج الفراعنة إلى ما حولها من البلاد، فأقاموا فيها دولتهم، وبنوا بها معابدهم.. ومثل ذلك حدث - وطراً - على كثير من بلاد الدنيا التي غيرت دياناتها.. وبدلت آلهتها ومعابدها.. ولم يقل عاقل بتغيير خرائط الواقع - ذي الجذور التاريخية التي تضرب في أعماق صفحات التاريخ التي تضرب في أعماق صفحات التاريخ التي تضرب في أعماق صفحات التاريخ - ليحل محل هذا الواقع «المعاصر - والتاريخي» في الوقت نفسه - «طارئ» يعيد لحظة «طارئة، ومؤقتة» من لحظات التاريخ.. وإلا لجاز أن تقوم للفرس.. أو للرومان حقوق بمصر.. ولجاز أن تقوم كمصر حقوق في البلاد التي عاش فيها الفراعنة، وأقاموا بها المعابد والدول.. ولجاز للرومان - الإيطاليين - أن يعودوا إلى الجوائز - التي أقام فيها أجدادهم لأكثر من ثلاثة قرون -.. وإذن أحدثت فوضى رهيبه في «خرائط» الواقع الذي نعيش فيه.

- وعبر هذا التاريخ العربي العريق لمدينة القدس.. تغيرت أسماؤها عدة مرات.. فالعرب اليبوسيون - الذين بنوها قبل ستين قرناً - قد سموها «يبوس».. ثم تغير اسمها إلى «يورد سالم - أو يورو سالم» - أي مدينة السلام.. ثم أطلق عليها الرومان اسم «إيليا الكبرى».. فلما جاء الفتح الإسلامي - الذي حررها من الاستعمار الروماني سنة ١٥ هـ ٦٣٦م - أراد العرب المسلمون أن يكون اسم هذه المدينة إعلاناً عن قداستها، وعن مباركة الله لها منذ تاريخها القديم فأطلقوا عليها اسم «القدس» و«القدس الشريف» و«الحرم الشريف»!

- ولأن وحدة الدين الإلهي - من آدم إلى محمد - عليهم الصلاة والسلام - هي عقيدة من عقائد الإسلام - الدين واحد.. وفي إطار عقائده

الواحدة والثابتة، تتعدد الشرائع بتعدد واقع المراحل التاريخية التي ظهر فيها الرسل والأنبياء..

ولأن ختم رسالات السماء إلى البشر، برسالة محمد (ﷺ) هو أيضا عقيدة من عقائد الإيمان الديني الإسلامي.. كان «الربط.. والرباط» الذي جاء في القرآن الكريم بين الحرم المكي الشريف وبين الحرم القدسي الشريف مقيدة عقيدة دينية إسلامية تجسد وترمز إلى عقيدة وحدة الدين الإلهي.. فالحرم المكي- الذي هو أول بيت- في الأرض- عبد الله فيه «إن أول بيت وضع للناس الذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم» [آل عمران: ٩٦- ٩٧].. وهو الحرم والبيت الذي أقام قواعده، وأعاد بناءه وظهره أبو الأنبياء إبراهيم وابنه إسماعيل- عليهما السلام- «وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم» [البقرة: ١٢٧] ولأن أبا الأنبياء- إبراهيم- عليه السلام- الذي أقام قواعد البيت الحرام- في رحلته الحجازية- قد كانت له رحلة أخرى- ضمن رحلاته- على أرض كنعان- حيث القدس العربية- التي غدت قبلة للنبوات السابقة على أبوة الإسلام الخاتمة.. بل والتي صلى إليها المسلمون- مع الكعبة- ثلاث عشر عاما- في العهد المكي المدعوة الإسلامية- وثمانية عشر شهرا بعد الهجرة من مكة إلى المدينة- [حتى ١٧ شوال سنة ٢هـ]-.. لأن أبا الأنبياء إبراهيم قد أقام هذه العلاقة بين أول بيت وضع للناس في الأرض- الحرم المكي الشريف- وبين القدس- قبلة النبوات التي تلت نبوة إبراهيم.. ولأن نبوة نبي الإسلام- محمد (ﷺ) هي التي جددت ملة إبراهيم «قل صدق الله واتبع ملة إبراهيم حنيفا» [آل عمران: ٩٥] {ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا} [النساء: ١٢٥]

{قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً} [الأنعام: ١٦١] وهي النبوة التي أحيت وجددت مناسك ملة إبراهيم - في الحج - تلك المناسك التي أقامها في رحلته الحجازية.

د. محمد عمارة

• الجينوم.. وقضايا فقهية:

عندما يقع في يدي كتاب يحمل عنوان «المادة الوراثية: الجينوم، قضايا فقهية» ويكون مؤلفه هو العالم الجليل الأستاذ الدكتور محمد رأفت عثمان عميد كلية الشريعة والقانون الأسبق، وعضو مجمع البحوث الإسلامية، وعضو الاتحاد العالمي لفقهاء المسلمين. فلا بد أن ألتهم صفحاته التهاماً، فالموضوع من الموضوعات التي شغلنتي وألفت فيه ثلاثة كتب من بين ٢٢ كتاباً من مؤلفاتي، والمؤلف عالم من علماء المسلمين الأفاضل الذين يستطيعون أن يتصدوا لتلك القضايا الشائكة، التي تحتاج إلى تعلم الحقائق العلمية للقضية أولاً قبل الإدلاء بالرأي الشرعي فيها، وهذه هي الميزة التي يخصص الله بها العلماء المجددين الذين لا يتعالون على التعلم حتى آخر يوم من حياتهم.

وقد قدم فضيلة العالم المستنير... على جمعة مفتي جمهورية مصر العربية لهذا الكتاب الممتع والمفيد بتقدمة لا يضاهيها في الروعة سوى ذلك المجهود الرائع والأراء المفيدة التي احتواها الكتاب، ويقول فضيلة المغني عن المؤلف «وكفى بكتابه هذا محدثاً عنه وعن علمه وفقهه وسعة اطلاعه، وناهيك به مواكبة للحقائق الطبية. والتطور العلمي الذي يحتاج الفقهاء في هذا العصر إلى الاطلاع عليه واستيعاب حقائقه، فمعرفة الواقع هو أحد ركني الفتوى، وصحة تصوير الواقع شرط في صدور الأحكام الشرعية

● القدس في العقيدة والتاريخ ٢

من أعظم وأقوى الروابط العقدية والإيمانية الرباط القرآني بين الحرم المكي الشريف وبين الحرم القدسي الشريف فهو عقيدة من عقائد الإسلام - في وحدة

الدين - ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ - الإسراء: ١ .

وإذا كان القرآن الكريم هو معجزة النبوة الخاتمة، التي وقع وقام بها التحدي، وثبت به صدق محمد ﷺ وإذا كان الإيمان الإسلامي يقرب وقوع وحدث معجزات مادية لرسول الإسلام .. فلحكمة بالغة أن القرآن الكريم لم يذكر من المعجزات المادية للنبي ﷺ سوى معجزة الإسراء والمعراج - التي مثلت الرباط العقدي بين الحرم المكي الشريف وبين الحرم القدسي الشريف - كتجسيد لعقيدة وحدة دين الله الواحد، والربط بين قبله النبوة الخاتمة وقبله النبوات التي سبقت نبوة الإسلام .

- ولأن هذه هي المكانة الدينية والإيمانية للقدس الشريف في العقيدة الإسلامية، كان التميز والامتياز في موقف المسلمين من هذه المدينة المقدسة منذ اللحظة الأولى لتاريخها الإسلامي .. فهي مدينة عربية قديمة .. استعمرها الرومان عشرة قرون - منذ الاسكندر الأكبر [٣٦٥-٣٢٣ ق.م] - في القرن الرابع قبل الميلاد - وحتى هرقل [٦١٠-٦٤١ م] - في القرن السابع للميلاد .. ولقد احتكرها الرومان لأنفسهم وحدهم - سواء في عصر وثنياتهم .. أو في عصر نصرانيتهم، ومذهبهم الملكاني - ودمروا الوجود اليهودي فيها .. فلما حررها المسلمون - ضمن تحريرهم لأوطان الشرق ولعقائد أهله - أعادوا لها قدسيته الدينية .. وأشاعوا هذه القدسية بين كل أصحاب المقدسات، وذلك - أيضاً - انطلاقاً من عقيدة دينية إسلامية يتفرد بها الإسلام والمسلمون، وهي الاعتراف بكل النبوات والرسالات، ومن ثم تقديس كل مقدسات أتباع كل النبوات والرسالات ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله﴾ - البقرة: ٢٨٥ .

ولقد تجسدت هذه العقيدة الإسلامية - عقيدة قداسة القدس .. وإشاعة قداستها بين جميع أتباع الديانات السماوية، وأصحاب المقدسات الدينية -

تجسدت هذه العقيدة الإسلامية وتجلت - في تعامل المسلمين مع هذه المدينة منذ اللحظات الأولى لتاريخها الإسلامي .. وطوال هذا التاريخ .

فهم الذين سموها القدس .. والقدس الشريف .. والحرم القدسي الشريف .. ليكون الاسم عنوانا علي عقيدة المسلمين في قدسيتها وتقديسها .

وهم - وحدهم - الذين عاملوها معاملة الإسلام للحرم - الذي يحرم فيه القتال وسفك الدماء - فكانت مثل مكة - التي حرص المسلمون علي فتحها سنة ٨ هـ - سنة ٦٢٩ م سلما - رغم تاريخ أهلها الذين عذبوا المسلمين .. وفتنواهم في دينهم .. وأخرجوهم من ديارهم .. ومردوا على غزو المدينة ومحاولات استئصال المسلمين فيها .. والمدينة - الحرم الإسلامي الثاني - فتحها المسلمون بالقرآن - وكذلك عامل الفاتحون المسلمون القدس - ثالث الحرمين - معاملة الحرم، فحرصوا على مصالحة أهلها، وتجنب القتال فيها .. بل لقد تفرد موقفهم منها أيضا عندما استجابوا لمطلب أهلها - بقيادة البطريرك صفر بن يوس [١٧ هـ - ٦٣٨ م] - الذي طلب أن يتسلم مفاتيح المدينة خليفة المسلمين - الراشد الثاني - عمر بن الخطاب [٤٠ ق . ٢٣ هـ - ٥٨٤ - ٦٤٤ م] - رغم أن قائد جيوش الفتح الإسلامي بالشام يومئذ كان أمين الأمة الإسلامية أبو عبيدة بن الجراح [٤٠ ق هـ - ١٨ هـ - ٥٨٤ - ٦٣٩ م] فسار عمر من المدينة إلى القدس ليتسلم مفاتيحها .. وليحقق المسلمون لهذا الحرم القدسي الشريف هذه الفرادة التي لم تحظ بها مدينة من المدن التي فتحها المسلمون! ..

والمسلمون لم يشيعوا قداسة القدس بين كل أصحاب المقدسات - فقط - بل إنهم - انطلاقا من تفردهم بالاعتراف بكل النبوات والإيمان بجميع الرسالات، قد قدسوا مقدسات الآخرين .. فرسولهم ﷺ قد علمهم ليس فقط الاعتراف .. والإقرار بمقدسات الآخرين .. بل وأوجب عليهم حماية مقدسات الآخرين! .. فهو الذي كتب للنصارى سنة ١٠ هـ سنة ٦٣١ م وثيقة دستورية يقول فيها:

«وأن أحمي جانبهم، وأذب عنهم، وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم، ومواضع الرهبان، ومواطن السياح، حيث كانوا.. وأن أحرس دينهم وملتهم أين كانوا.. بما أحفظ به نفسي وخاصتي، وأهل الإسلام من ملتي».

لقد قدس المسلمون مقدسات الآخرين.. ولذلك، فإن عمر بن الخطاب، عندما احترم قداسة كنيسة القيامة، واعتذر للبطريك "صفرينيوس" عن عدم الصلاة فيها - عندما حان وقت الصلاة - كي لا يؤسس لشبهة حق إسلامي في الموضوع الذي صلي فيه - لم يكن يصدر عن مجرد "السماحة المتألقة". التي تمنح وتمنع، وإنما كان يصدر عن عقيدة إيمانية إسلامية إزاء مقدسات الآخرين!.

والمسلمون - انطلاقاً من هذه المكانة المقدسة للقدس في العقيدة الدينية الإسلامية - كانوا هم الحريصين علي إعادة الطهر والطهارة الي كل الأماكن التي سبق وعبدوا الله فيها - في القدس وفي فلسطين - فلقد تجول عمر بن الخطاب في ربوع القدس فوجد الرومان - الذين دمروا معابد الآخرين - قد جعلوا من أماكن العبادة هذه مقالب للنفايات والقاذورات!.. فكان أمير المؤمنين عمر - ومعه صحابة رسول الله ﷺ يفرشون أرديتهم، ويحملون عليها هذه النفايات، كي يعيدوا الطهر والطهارة إلى الأماكن التي عبدوا الله فيها في هذه المدينة وتلك البلاد!..

والمسلمون هم الذين أعادوا اليهود إلى سُكنى القدس - بعد أن كانوا مطرودين منها! - وعلي الرغم من أن نصارى هذه المدينة قد طلبوا من عمر بن الخطاب ألا يسكن معهم فيها أحد من اليهود أو اللصوص!.. لكن العقيدة الدينية الإسلامية التي أشاعت قداسة القدس بين كل أصحاب هذه المقدسات كانت فوق المطالب التي أملتها "المنافسات.. والثار" بين أتباع الشرائع والديانات..

ولأن المسلمين هم الذين يعترفون بكل ألوان الآخر الديني - ويتفردون بذلك - فلقد رأت الطوائف النصرانية المقدسية المتنافسة علي الأماكن النصرانية المقدسة.. رأت في المسلمين الحكم المحايد والعدل بين هذه الطوائف.. فنصت كثير من

"حجج أوقاف" كنائس القدس، وحفظ مفاتيح هذه الكنائس، علي أن يكون
نظار هذه الأوقاف وحاملو هذه المفاتيح أسرا مسلمة، يتوارث أبناؤها نظارة
الأوقاف الكنسية وحمل مفاتيح الكنائس، وذلك تلافيا للمنافسات والمشاحنات
التي اتسمت بها علاقات هذه الطوائف - تاريخيا.. وحتى هذه اللحظات، كما
هو الحال مع دير السلطان!!..

- ولأن هذه المكانة الدينية للقدس هي عقيدة دينية إسلامية.. وليست مجرد
سماحة يمنحها حاكم ويمنعها آخر.. فلقد استمرت هذه المكانة.. وهذه المعاملة
للقدس الشريف عبر تاريخ الإسلام..

د. محمد عمارة